Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإقدام، قارح البصيرة، مُعَوِّلاً إلى حد ما على نفسه، معتمداً عليها فى بحثه؛ يدل على هذا اقتصاده فى عدد الشيوخ الذين تخيرهم وتتلمذ عليهم، ولم يكن لحطام الدنيا سلطان عليه، فلا ريب أن يهب نفسه للعلم يدرسه فى كتب السابقين.

ولقد كان لمدرسة ابن مالك الممثلة فى مؤلفاته تأثير فيه وتوجيه له، فيما اختطه لنفسه وسار عليه، شأنه فى ذلك شأن قرينه ابن عقيل.

وكان لأبى حيان معلم الزمان ومعلمهما فى هذا الأوان فضل الإشادة بمؤلفات ابن مالك، فهو أول من تعصب لها ونوَّه بها ودعا إليها، وحببها إلى قلوب الباحثين، وزينها فى عيون الناظرين.

قال السيوطى: «وهو الذى جسر الناس على مؤلفات ابن مالك ورغبهم فى قراءتها، وشرح لهم غامضها، وخاض بهم لُجَجها»(١).

ومدرسة ابن الحاجب لا تقل تأثيرا عن مدرسة ابن مالك فى ابن هشام بل لعله بها آنس، واليها أقرب.

وإن الإنسان ليسائل نفسه عن السر فى أن يغفل ابن هشام إمامًا له فى النحو رفيع المقام ، ذلك هو الإمام الرضى ، وشرحاه على الكافية والشافية لابن الحاجب كفاء وشفاء ، مع قرب بينهما سمح للرضى أن يشرح مؤلفات ابن الحاجب.

فكيف لا يسمح باطلاع ابن هشام على ما جاش به صدر الرضى من تحقيق وما وصل إليه من تجديد.

أغلب الظن أن ما كتبه الرضى لم يصل إلى يد ابن هشام، حينما ألف ما بأيدينا من كتب، وقد يكون اطلع عليهما وأفاد منهما وأشاد بهما فيما لم يصل إلينا من مؤلفاته.

وإن كنت أرجح أنه لم يرهما أبدًا، يؤيد هذا أن الرضى فرغ من شرح «الكافية» فى شوال سنة ٦٨٦ هجرية، على حين أن ابن الحاجب مؤلف الكافية توفى سنة ٦٤٦ هجرية، وطبعى أن يسبق تأليفه «الكافية» وفاته بزمن غير قصير؛ لأنه بعد أن أتم «الكافية» تداولها الناس، ثم شرحها، ثم نظم الكافية، وسمى نظمها «الوافية»، ثم شرحها، وله «الشافية» وشرحها، على ما فى نسبة الأخير إليه من مقال.

(١) بغية الوعاة ص ١٢١ .